وكلام المتنبى انتهى كلام ابن ابى الاصبع وقد عَنَّ لى هنا ان ارفع للمتاخرين فى
التقديم رَايَة ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية ، فان الشيخ جمال الدين
ابن نباتة رحمه الله اظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القايل
، وانى وان كنت الاخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الاوايلُ ،
من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل منهما وَذَمّه
فبرز القلم بفصاحته ، ونشط لارتجاله ، ورقى من الانامل على اعواده
وقام خطيبًا بمحاسنه فى حُلة مداده ، والتفت الى السيف فقال
بسم الله الرحمن الرحيم ، ن والقلم وما يسطرون ، ما انت بنعمة ربك بمجنون
الحمد لله الذى عَلَّمَ بالقلم وشرفه بالقسم ، وخط به ما قدّر وقسم ، وصلى الله
على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كاين ، وعلى اله وصحبه ذوى المجد البين
وكل مجد باين ، صلاة واضحة السطور فاتحة من ادراج الصدور ،
ما نقلتُ عن صحف البحار غواديها ، وكتبت اقلام النور على مهارق الرياض
حكمة باريها اما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعُليا
ومجادح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ، ومفتاح باب اليمن
المحجوب اذا اعيى ، وسفير الملك المحجب ، وغديق الملك المرجب ، وزمام
اموره السايرة ، وقادمة اجنحته الطايرة ، ومطلق ارزاق عفاته المتواترة
وانملة الهدى المسيرة ، الى ذخاير الدنيا والاخرة ، به رُقم كتاب الله الذى لا
ياتيه الباطل وسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر والخواطل ،
فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسُنة وحسبه ما جرى على يده الكريمة
من منه ، وفى مواضى الدول عونة للشايدين ، وبعين الله فى ليالى اليقين
تقلب وجهه فى الساجدين ، ان نظمت فرايد العلوم انما هو سلكها ، وان
علت اسرة الكتب فانما هو ملكها ، وان رقمت برود البيان فانما هو خلالها ،
وان تشعبت فنون الحكم فانما اليه مآبها ومآلها ، وان تقسمت امور الممالك
فانما هو عصمتها وثمالها ، وان اجتمعت رعايا الصنايع فانما هو امامها ، المتلفع
بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج دُررها من ظلمات مداده
وان دعدا وفى بجلب النفع ، وان اوعد اخاف كانما يستند من النقع ، هذا وهو
لسان الملوك المخاطب ورسيلها لابكار الفتوح والخاطب ، والمنفق فى تعمير

دولها

دولها محصور انفاسه ، والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه ، والمنفق
لجهاد اعدايها والسيف فى جفنه نايم ، والمجهز لباسها وكرمها جيش الحروب
والمكارم ، والجارى بما امر الله به من العدل والاحسان ، والمسود الباص
فكانما هو بعين الراي انسان ، طالما ذبّ عن حرمها فشد الله ازره ، ورفع ذكره
وقام فى المحاماة عن دينها اشعث اغبر لو اقسم على الله لأبرّه وقاتل على البعد
والصوارم فى القرب ، واوتى من معجزات النبوة نوعًا من النصر بالرعب ، وبعث جحافل
السطور ، فالقسى دالات والرماح الفات واللامات لامات والهمزات
كاسر الطير التى تتبع الجحافل ، والازراب بحاجبها المحمر من دم الكلام والمفاصل
فهو صاحب فضيلتى العلم والحلم وساحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم ، لا
يعاديه الامن سفه نفسه ولبس لبسه ، وطبع على قلبه ، وقل الجدال من غربه
وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه ، وكيف يعادى من اذا كرع فى نفسه ، قيل انا
اعطيناك الكوثر واذا ذكر شانيه السيف قيل ان شانيك هو الابتر اقول
قولى هذا واستغفر الله من السرف وخيلايه ، والفخار وكبريايه ، واتوكل على الله
فيما حكم ، واساله التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكر من ادواته
وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القايل ،

، فلم يقل الجيش وهو عرمرم ، والبيض ما سلت من الاغماد ،
، وهبت له الاجام حين نشا بها ، كرم السيول وصولة الاساد ،

فعند ذلك نفض قايم السيف عجلا ، ،

وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم
وانزلنا الحديد فيه باس شديد ، ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله ،
بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف
وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصهم بمياه الحتوف ، وشيد بها مراتب
الذين يقاتلون فى سبيله كانهم بنيان مرصوص وعقدهم صفوف ، واجناهم من ورق
حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف ، وصلى الله على سيدنا محمد
هازم الالوف ، وواهب الالوف ، وعلى اله وصحبه الذين طالما محوا بريق بروق
الصوارم سطور الصفوف ، صلاة عاطرة فى الانوف ، حالية بها الاسماع
كالشنوف ، وسلم اما بعد فان السيف زند الحق الورى ، وزنده القوى ،

Copyright © King Saud University